(نهاية عام وبداية عام وتناقص العمر)

الحمد لله خالق الحياة وما فيها من أيام وشهور، وأسماء المواعيد إلى يوم القيامة في كتاب مسطور. فهو الذي خلق عدد الأيام والشهور، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أما بعد:

فيا عباد الله؛ نحن على أعتاب عام 1447هـ، وسنقفز – إن شاء الله – من شرفاته إلى أعتاب العام الجديد 1448هـ. تمر الأعوام والعمر المقدور يتناقص، وإن العبد ليحزن عندما يودع يوما لأنه لا يدري أحجة له أو عليه فما من يوم ينفجر فجرة إلا وهو يقول يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد ، فاغتنمني فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

إخواني في الله: مع نهاية العام الهجري دعوة للتأمل والاعتبار، كيف انقضت هذه السنة بأكملها وكأنها طيفُ خيالٍ، كم حصل فيها من أفراح وأتراح، فرحًا بقدوم مولود، وعودة غائب، وفرحًا برزق وتيسر لأمور، ونجاح وفلاح، أو حزنًا على فوات مطلوب، أو موت حبيب وقريب، أو سقم ونقص! وكم موسم للطاعة فيها فاز به المشمّرون بالأجور العظيمة رُصدت في سجل حسناتهم، وخسر فيه محرومون بتفريطهم وتكاسلهم! فقد ذهبت لذَّات العصاة والمفرطين في عامهم وما ارتكبوه فيه من آثام، وبقيت سيئاتهم مكتوبةً في صحائف أعمالهم يحاسَبون عليها يوم الدين، إن لم يتوبوا ويصلحوا، كما ذهب تعب القائمين الصائمين المبادرين للخيرات، وبقِيت أجورهم وثوابهم عند المولى يسرون بها يوم الدين، ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة: 7، 8]، وهكذا عمر الإنسان سيمضي سريعًا، فلا يدري الإنسان كم لبث يوم القيامة ، كما حكى الله تعالى حال الخلق أجمعين يوم البعث والنشور؛ فقال سبحانه :﴿ **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ *قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ** ﴾ [المؤمنون: 112، 113]، وقال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [يونس: 45].

أيها المسلمون :ونحن نستقبل عامًا هجريًّا جديدًا في ذلك دعوة للتأمل والتفكر في مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونزول الوحي عليه في غار حراء حين كان يتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد، هاجرًا ما كان عليه كثير من أهل مكة من عبادة الأوثان والأحجار والأصنام، قد فشا فيهم السلب

والقتل والظلم، فلما بُعث عليه الصلاة والسلام، وسعى لهدايتهم، سخِروا منه، وآذَوه ورموه بأبشع الأوصاف، فقالوا: ساحر، ومجنون، وكاهن، وأعرض كثير منهم عن دعوته، واستمروا في إيذائه، ولم يؤمن به إلا القليل من الضعفاء الذين لقُوا من كفار قريش الأذى كبلالٍ، وخبيبٍ، وعمار، وياسر، وزوجته سمية رضي الله عنهم، وقد لَقِيَ النبي صلى الله عليه وسلم عنايةً من عمِّه أبي طالب وحماية، ومواساةً من زوجه خديجة رضي الله عنها، وقد ماتا في عام واحد في مكة أُطلق عليه عام الحزن؛ لشدة الحزن الذي لقِيَه عليه الصلاة والسلام بفقدهما، واشتدَّ أذى المشركين له ولمن تبِعه، حتى أذِن الله تعالى لهم بالهجرة للحبشة فرارًا بدينهم، والسلامة من أذى قومهم، ثم هيَّأ الله تعالى لنصرة هذا الدين من يأوي نبيه عليه الصلاة والسلام، فقيَّض له الأنصار الذين قدِم منهم وفدٌ للحج، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه على الوفود القادمة للحج، ولما عرض نفسه على وفد يثرب، وافقوا على إيوائه وحمايته ليبلغ دين ربِّه، فأذِن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة بالهجرة ليثرب، وكان على رأس أول من هاجر مصعبُ بن عمير رضي الله عنه، وقد تولى تعليم أهل يثرب تعاليم دين الإسلام، وبَقِيَ عليه الصلاة والسلام في مكة بعد هجرة عدد من أصحابه، ينتظر إذن الله تعالى له بالهجرة، حتى أذِن الله سبحانه له بها، فاستعدَّ للهجرة وتهيأ لها.

كيف نستقبل هذا العام الجديد؟

إن بقاء المرء يوماً واحداً نعمة وهبة من الله فكيف بأشهر وأعوام يتزود منها خيراً كثيراً ، وزاداً عظيماً، من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وذكر وتسبيح ... جاء في الحديث الصحيح : " ليس أفضل عند مؤمن يعمر في الإسلام لتكبيرة أو تحميدة أو تسبيحة أو تهليلة " أخرجه النسائي.

فاحمد الله على هذه النعمة واغتنمها فيما يقربك من الله تعالى ، فاليوم عمل بلا حساب وغداً حساب بلا عمل.

وبداية هذا العام الجديد فرصة لتربية النفس وتعويدها على طاعات ربما كانت في تكاسل عنها، واعلم أن هذه الطاعات والعبادات هي خير زاد لك إذا رحلت من دنياك .

ولعل من أعظمها المحافظة على صلاة الجماعة فكن من المسارعين لها ، السابقين لدخول المسجد وفي التهجير ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

قَـالَ: "لَـوْ يَعْلَـمُ النّـاسُ مَـا فِي النّـدَاءِ وَالصّـفّ الأَوّل، ثُمّ لَمْ يَجِـدُوا إِلاّ أَنْ يَسْـتَهِمُوا عَلَيْـهِ لاَسْـتَهَمُوا. وَلَـوْ يَعْلَمُـونَ مَـا فِي التّهْجِـيرِ لاَسْـتَبَقُوا إِلَيْـهِ، وَلَـوْ يَعْلَمُـونَ مَـا فِي الْعَتَمَـةِ وَالصّـبْحِ، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً" . أخرجه البخاري ، ومسلم .

اجعل لك ورداً من القرآن تقرأه كل يوم لا تُخل به وليكن جزاءً من القرآن لتختم كتاب ربك في كل شهر مرة ولقد كان صحابة سيدنا محمد – عليه الصلاة والسلام – يختمون القرآن الكريم في كل أسبوع مرة ، فلا أقل من أن تختمه كل شهر مرة .

عود نفسك على أذكار الصباح والمساء فإنها الحصن الحصين لك من كل شر وفيها من الحسنات ما تفضل به الله على عباده.

ليكن لك نصيب من صيام النافلة ولو كل شهر ثلاثة أيام.

تعاهد رحمك بالصلة وجيرانك بالزيارة ومرضى المسلمين بالعيادة وجاهد النفس لفعل هذه الأعمال وغيرها من أعمال البر والإحسان.

كتبه فضيله الشيخ/ **عبد الله السيد رحيم**. مبعوث وزاره الأوقاف المصرية بالبرازيل.